﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦﴾ [البقرة: 106]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لما بيَّنتِ الآيةُ السّابقةُ موقفَ اليهودِ والمشركينَ منْ إنزالِ الوحيِ على المؤمنينَ، ناسبَ بيانَ الموقفِ منْ نسخِه؛ فاليهودُ والمشركونَ يبحثونَ عنْ ثغرةٍ في دينِ اللّهِ تعالى ليُوَجّهُوا إليها سهامَهمْ، فآثرتِ الآيةُ بيانَ أنّ النسخَ إنْ وُجدَ فإنّهُ نسخٌ للأفضلِ ومُقَدَّرٌ عند اللّه العليم الحكيم أزلًا، وفيهِ مزيدُ تبكيتٍ وتقريعٍ لما يجولُ في نفوسِهم المريضةِ، فمناسبةُ الآيةِ للسّابقِ زيادةُ تقرير أنّ النازلَ على المؤمنينَ هو خيرٌ في بقائهِ وفي نسخِه؛ دفعًا لأيِّ تمويهٍ، أو اعتراضٍ يصدرُ عنِ الشّانئينَ.

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿نَنسَخۡ﴾: فعل مضارع مجرَّد مبدوء بنونِ المضارعةِ للدّلالةِ على الجمعِ، جذرهُ اللّغويُ (نسخ)، وأصلهُ واحدٌ، إلّا أنّهُ مختلفٌ في قياسِه "قالَ قومٌ: قياسُهُ رفعُ شيءٍ، وإثباتُ غيرِهِ مكانَهُ، وقالَ آخرونَ: قياسُهُ تحويلُ شيءٍ إلى شيءٍ"[1]، وهذانِ المعنيانِ ذكرَهما ابنُ عطيةَ؛ وهُما الإزالةُ والنقلُ[2].

والنسخُ "إزالةُ شيءٍ بشيءٍ يتعقّبهُ، كنَسخِ الشّمسِ الظلَّ، ونَسْخِ الظلِّ الشَّمْسَ، ونَسْخِ الشَّيبِ الشَّبابَ؛ فتارةً يُفهمُ منهُ الإزالةُ، وتارةً يُفهمُ منهُ الإثباتُ، وتارةً يُفهمُ منهُ الأمرانِ، ونَسْخُ الكتابِ: إزالةُ الحكمِ بحكمٍ يتعقَّبهُ"[3]، هو المقصود بالنَّسْخ هنا.

2) ﴿ءَايَةٍ﴾: أصلُها (أَأْيَة): سكنت الهمزة الثانية وانفتح ما قبلها، فقُلبت حرف مدٍّ من جنس حركة الهمزة الأولى، فصارت ألفًا، والآيةُ تأتي بمعنَى العلامةِ والشخصِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نسخ)، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (نسخ).
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/190.
(3) الراغب، المفردات: (نسخ).

والجماعةِ[1]، والآية: "طائفةٌ منَ القرآنِ، يتّصلُ بعضُها ببعضٍ إلى انقطاعِها؛ طويلةً كانتْ أوْ قصيرةً"[2]، وسُمّيتْ آيةُ القرآنِ بهذا الاسمِ؛ لكونها مؤلَّفةً مِنْ مجموعةٍ من الكلماتِ والجملِ.

3) ﴿نُنسِهَا﴾: فعل مضارع مزيد بهمزةِ التّعدية منْ (أَنْسَى)، جذرهُ اللّغويّ (نسي)، ومصدرهُ النّسيانُ "النّونُ والسّينُ والياءُ أصلانِ صحيحانِ يدلُّ أحدُهما على إغفالِ الشيءِ، والثّاني على تركِ شيءٍ"[3]، وهذانِ المعنيانِ مقصودانِ في الآيةِ الكريمةِ، وعليه فمعنى: ﴿نُنسِهَا﴾: أي: نُزيلُ العملَ بها، أو نحْذِفُها عن قلوبِ العبادِ[4].

4) ﴿نَأْتِ﴾: فعل مضارع مبدوء بحرفِ المضارعةِ، أصلُه (نأتِي) حُذِفَ حرفُ العلّةِ منهُ للجزمِ؛ لأنّهَ جوابُ الشرطِ، والجذرُ منهُ (أتي)، ومنهُ: أَتَى يأتِي، ومنْ معانيهِ أنّهُ "مجيءٌ بسهولةٍ، ومنهُ قيلَ للسّيلِ المارّ على وجهِه: أَتِيٌّ ... والإتيانُ يقالُ للمجيءِ بالذّاتِ وبالأمرِ وبالتّدبيرِ، ويقالُ في الخيرِ وفي الشرِّ وفي الأعيانِ والأعراضِ"[5]، ومعناهُ المحوريّ "وصولٌ أو تقدّمٌ وحضورٌ إلى مكانٍ، أو شيءٍ بتهيئةٍ، أوْ قوةٍ تُزيلُ ما يعوقُ"[6]، ومعنى: ﴿نَأْتِ﴾: نجيء.

5) ﴿بِخَيْرٍ﴾: اسمُ تفضيلٍ (أَخْيرُ) وزنُه (أَفْعَلُ) حُذفتْ همزتُه لغيرِ قياسٍ، وقدْ صُرّحَ بهِ في قولِهم: "بلالٌ خيرُ الناسِ، وابن الأَخْيَرِ"[7]، والجذرُ اللغويّ لهُ (خير).

وأصلُه "العطفُ والميْلُ، ثمَّ يُحملُ عليهِ، فالخيرُ خلافُ الشَّرِّ؛ لأَنَّ كلَّ أَحدٍ يميلُ إليهِ، ويعطِفُ على صاحبِهِ ... ثمَّ يُصرَّفُ الكلامُ فيقالُ: رجلٌ خيّرٌ، وامرأةٌ خيّرةٌ فاضلةٌ، وقومٌ خيارٌ وأخيارٌ ... وامرأةٌ خيّرةٌ في جمالهَا وميسمِها"[8].

وعمومًا فالخيرُ هو كلُّ مَا كانَ خلافَ الشرّ، وما كانَ تحتَ بابِ الفضلِ، و"ما يَرغبُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أيه).
(2) الكفويّ، الكليّات، ص: 41.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نسي).
(4) الراغب، المفردات: (نسخ).
(5) الراغب، المفردات: (أتى).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (أتو/أتى).
(7) الأنباري، الزاهر: 1/375.
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خير).

فيه الكُلّ؛ كالعقلِ مثلاً، والعدلِ، والفضلِ، والشّيءِ النافعِ، وضدّهُ الشرّ"[1]، وقولُه: ﴿نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ﴾ أي: بأفضلَ منهَا "إمّا بتخفيفِ ما كانَ ثقيلاً كثباتِ الواحدِ للاثنينِ بعدَ أنْ كانَ الثباتُ لعشرةٍ، وإمّا بكثرةِ ثوابِه وإنْ كانَ أثقلَ، كصومِ رمضانَ"[2].

6) ﴿مِثۡلِهَآۗ﴾: اسمٌ ثلاثيّ مجردٌ، جذرهُ اللغويّ (مثل)، وأصلُ حروفِه "يدلّ على مناظرةِ الشيءِ للشيءِ، وهذَا مِثلُ هذَا: أي نظيرُه"[3]، وَالمِثْلُ "شِبْهُ الشيءِ في المِثالِ والقَدْرِ ونحوِه حتّى في المعنَى، ويقالُ: ما لهذَا مَثيلٌ"[4].

7) ﴿ٱللَّهَ﴾: لفظُ الجلالةِ، علمٌ على المعبودِ بحقّ، وهو مشتقّ على الصّحيحِ وليسَ جامدًا؛ فإنّ أسماءَ اللّهِ تعالَى أعلامٌ وأوصافٌ باتّفاقِ أهلِ السّنّةِ والجماعةِ[5]، ولازمُ ذلكَ أنّها مشتقةٌ[6]، إذِ الجامدُ لا وصفَ لهُ.

وقيلَ إنّ "أصلَهُ الإلاهُ؛ فحُذفتِ الهمزةُ، وأُدغمتِ اللّامُ في اللّامِ، فصارَ ﴿ٱللَّه﴾"[7] لكثرةِ دورانِه على الألسنةِ[8] وأُدغمتِ اللامُ في مثلِها، وفُخّمتْ تعظيمًا للّهِ تعالَى[9]، والترقيقُ بعدَ الكسرِ؛ لأجلِ التخفيفِ لا لسلبِ التعظيمِ.

ومهْمَا قِيلَ في حقّهِ، فهو قطرةٌ من بحرٍ، أو ثانيةٌ من دهرٍ؛ لأنّ عظمتَه لا حُدُودَ لكمالِها، ومعنَى اسمِ ﴿ٱللَّه﴾ عَلَمًا - كمَا قالَ ابنُ عباسٍ ﷺ -: ذو الألوهيةِ والعبودية على خلقِه أجمعينَ[10].

8) ﴿كُلِّ﴾: اسمٌ ثلاثيّ جذرُه (كلل) ثمّ أُدغمتِ اللامُ في مثيلتِها، وهو "اسمٌ موضوعٌ للإحاطةِ مضافٌ أبدًا إلى ما بعدَهُ، وقولُهمُ الكلُّ، وقامَ الكلُّ فخطأٌ، والعربُ لا تعرفُهُ"[11].

---

(1) الراغب، المفردات: (خير).
(2) السمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (خير).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مثل).
(4) الفراهيدي، العين: (مثل).
(5) ابن القيم، بدائع الفوائد: 1/285.
(6) ابن القيم، الكافية الشافية، ص: 216.
(7) الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب: 2/981.
(8) الجوهري، الصحاح تاج اللغة: (أله).
(9) الفيومي، المصباح المنير: (عله).
(10) ابن جرير، جامع البيان: 1/123.
(11) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كلل).

و"هو لضمّ أجزاءِ الشيءِ، وذلكَ ضربانِ: أحدُهما: الضّامّ لذاتِ الشيءِ وأحوالِه المختصّةِ بهِ، ويفيدُ معنى التمامِ ... والثاني: الضّامّ للذّواتِ، وذلك يضافُ، تارةً إلى جمعٍ معرّفٍ بالألفِ واللامِ، نحو قولك: كُلُّ القوم، وتارة إلى ضمير ذلك، نحو: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: 30]"[1].

ويأتي أيضًا في بابِ التوكيدِ المعنويّ؛ للدّلالةِ على الإحاطةِ والشّمولِ، كقولِه تعالَى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31]، وجميعُ ما وردَ في القرآنِ الكريمِ جاءَ معرّفًا بالإضافةِ لفظاً أو تقديراً.

والمعنَى في الآيةِ أنّ قدرتَه محيطةٌ بجميعِ الأشياءِ.

9) ﴿قَدِيرٌ﴾: صفة مشبَّهة بمعنَى قادِرٌ، وزنُه (فَعِيل)، جذرُه اللّغويّ (قدر)، والأصلُ في معناهُ "يدلّ على مبلغِ الشيءِ وكنهِه ونهايتِه، فالقَدْرُ: مبلغُ كلِّ شيءٍ، يُقالُ: قَدْرُه كذَا، أي مبلغُه"[2].

و"القَدَرُ القضاءُ الموافقُ، يُقالُ قَدّرهُ اللّهُ تقديراً، وإذَا وافقَ الشيءُ شيئاً قِيلَ جاءَ على قَدَرِه"[3].

والواردُ في الآيةِ ﴿قَدِيرٌ﴾، وهو "الفاعلُ لِما يشاءُ على قَدْرِ ما تقتضِي الحكمةُ، لا زائدًا عليهِ، ولا ناقصًا عنهُ"[4].

"والقادرُ يوصفُ بهِ الإنسانُ حسبَما تقدّمَ، والقديرُ لا يوصفُ بهِ إلّا اللّه تعالَى، وذلكَ لِمَا فيهِ من المبالغةِ"[5].

❁ المَعْنَى الإجْمَاليُّ:

بيَّنتِ الآيةُ الموقفَ منَ الآياتِ القرآنيّةِ من حيثُ بقاؤهَا أو نسخُها، وأنَّ نسخَ الآياتِ القرآنيّةِ إنْ وقعَ فهو إزالةٌ لآيةٍ، وإتيانٌ بآيةٍ فاضلةٍ في ذاتِها ومعناهَا، وذلكَ لا يقدحُ في الوحي، ولا في

(1) الراغب، المفردات: (كل).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قدر).
(3) الفراهيدي، العين: (قدر).
(4) الراغب، المفردات: (قدر).
(5) السمين، عمدة الحفّاظ: (قدر).

الرسولِ ﷺ، ولا في الشريعةِ، فمقصودُ الآيةِ بيانُ أنَّ النسخَ -إنْ وقعَ- ما هو إلّا تكميلٌ وتتميمٌ، وأنَّه صادرٌ عن قدرةِ اللّهِ تعالى.

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

سرُّ استعمالِ ما الشَّرطيّة:

إفـادةُ معنَى العـمـومِ، وتـحـسـينُ الصَّوتِ

لاستعمالِ ﴿مَا﴾ في هذا السِّياقِ نكتتانِ اثنتانِ؛ الأولى: إفادةُ معنى العمومِ، فإنَّ النَّسخَ متصوَّرٌ وقوعُه في كلِّ آيةٍ، ويرشِّحُ هذه النّكتةَ مجيءُ حرفِ ﴿مِنْ﴾ قبلَ كلمةِ ﴿ءَايَةٍ﴾، والثَّانيةُ: الإيقاعُ الصوتيّ، فإنَّ العربَ تكرهُ توالي الأمثالِ، أي: الحروفِ المتماثلةِ، ومجيءُ (إنْ) وبعدَها نونانِ في كلمةِ ﴿نَنسَخْ﴾ فيهِ ثقلٌ صوتيّ، فاستعمالُ ﴿مَا﴾ أحسنُ في الصوتِ، وهو أمرٌ تابعٌ للمعنَى بالدرجةِ الأولى؛ فهو تابعٌ لا متبوعٌ، وفرعٌ لا أصلٌ.

بلاغةُ الالتفاتِ:

تقـويـةُ النَّسخِ وتـمـكـيـنُـه في النُّفوسِ

انتقلتِ الآيةُ من الغيبةِ في فاصلةِ الآيةِ السَّابقةِ ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة: 105] إلى التَّكلّمِ ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾، وذلكَ لما يُضفيهُ اسمُ الجلالةِ من الهيبةِ، وهذا شأنُ المتفضِّلِ جلَّ في عُلاهُ، ثمَّ جاءَ الالتفاتُ لبيانِ أنَّ النَّسخَ إنَّما صدرَ عن المتكلِّمِ سبحانَه، وهذا توجيهُ بَدْءِ الفعْلِ بنونِ العظمةِ؛ لمَا فيهِ من تقويةِ النَّسخِ، وأنَّ اللّه تولَّاهُ بنفسه، فلم يقلْ: ما يُنسخُ من آيةٍ، وفي ذلكَ إشعارٌ بقوةِ النَّسخِ وتمكينِه في النُّفوسِ.

توجيهُ القراءاتِ في ﴿نُنسِخْ﴾:

القراءاتُ تشتركُ في الإخبـارِ عـنِ المَنْسوخِ ماضيًا ومُستقبلًا

اختلف القرَّاءُ في قولِه تعالَى: ﴿نَنسَخْ﴾ على قراءَتَيْن؛ فقراءةُ الجمهورِ ﴿نَنسَخْ﴾ بفتحِ نونِ المضارعةِ المتّصلةِ بالفعلِ الثلاثيّ المجرَّدِ (نَسَخَ)، فيما قرأَ ابنُ عامرٍ: ﴿نُنسِخْ﴾ بضمِّ النونِ الأولى وكسرِ السينِ[1] وعلى ذلكَ يكونُ الفعلُ من (أنسخَ).

(1) ابن الجزريّ، النشر في القراءات العشر: 2/219.

فتحتملُ الهمزةُ أنْ تكونَ بمعنى الوجدانِ من بابِ أفعلْتُ[1] أي أنْ "يكونَ المعنى ما نجدُه منسوخاً، كما يُقالُ: أَحْمَدْتُه وأَبْخلْتُه، أي: وَجَدْتُه كذلكَ"[2] والمعنى متقاربٌ؛ فإنّك لا تجدُه منسوخًا إلّا بأنْ ينسخَه الحقُّ تباركَ وتعالَى، وتحتملُ همزةُ (أنسخَ يُنسِخُ) أنْ تكونَ للتعديةِ "وإنساخُها: الأمرُ بنسخِها، وهو أنْ يأمرَ جبريلَ عليه السلام بأنْ يجعلَها منسوخةً، بالإعلامِ بنسخِها"[3]، والأصلُ في الفعلِ (نَسخَ) أنّه يتعدّى لمفعولٍ واحدٍ، ودخولُ همزةِ التعدّيةِ جعلتْه يتعدّى لاثنينِ، والقراءتان متّفقتان "في المعنى، وإنِ اختلفتَا في اللّفظِ"[4]، فنسَخَ وأَنْسَخَ إخبارٌ عمَّا هو منسوخٌ؛ إحداهما عنِ المُستقبلِ، والثّانية عن الماضي.

أثرُ حروفِ المعاني في البيانِ:

بيانُ السّابقِ واللّاحقِ بالتّخصيصِ

أخذَ ﴿مِن﴾ موقعًا عجيبًا في بيانِ السابقِ واللاحقِ، أمَّا السَّابقُ فهوُ بيانٌ وتخصيصٌ لاسمِ الشرطِ ﴿مَا﴾؛ فأزالَ إبهامَه، ودفعَ غموضَه، وأمَّا اللّاحقُ فهو بيانُ دلالةِ ﴿ءَايَةٍ﴾، وأنَّ المرادَ بها الجمعُ لا المفردُ[5]، فإنَّ ﴿ءَايَةٍ﴾ نكرةٌ وقعتْ في سياقِ الشَّرطِ فأفادتِ العمومَ، فصدقَ اسمُها على جميعِ الآياتِ، وحرفُ ﴿مِن﴾ أفادَ التبعيضَ؛ ففُهمَ أنَّ تطرُّقَ النَّسخِ محتملٌ لجميعِ الآياتِ، لكنَّ احتمالَه لا يكونُ إلَّا لبعضِها.

أثرُ السِّياقِ في دلالةِ حروفِ المعاني:

دلَّ حرفُ ﴿أَوْ﴾ على التقسيم[6]؛ أي: تقسيمِ الآيةِ المرادِ الإتيانُ بخيرٍ منها؛ إمّا أنْ يجري عليهَا النَّسخُ، أو الإنساءُ، ومآل الفعلينِ واحدٌ، لكنّ الاختلافَ في طريقةِ الوصولِ إلى الحكم، وهو إزالةُ الآيةِ بأمرِ الوحي، أو إنساؤُها من اللّهِ تعالى، فمقتضَى العطفِ بيانُ أنَّ هناكَ آياتٍ جرَى عليهَا النَّسخُ، وأخرى جرَى عليها الإنساءُ، والقسمانِ حلَّتْ محلَّهما آيةٌ خيرٌ منهُما.

---

(1) الهمزة تفيد "مصادفة الشيء على صفة، كأحمدتُ زيدًا وأكرمتُه، وأبخلتُه، أي: صادفته محمودًا أو كريمًا أو بخيلًا"، الحملاوي، شذا العَرف في فنّ الصرف، ص: 30.

(2) السمين، الدرّ المصون: 2/56.

(3) الزمخشريّ، الكشّاف: 1/309.

(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/192.

(5) السمين، الدرّ المصون: 2/57.

(6) السمين، الدرّ المصون: 2/58.

توجيهُ القراءاتِ في ﴿نُنسِهَا﴾:

تكامُلُ القراءاتِ القرآنيَّةِ مظهرٌ مـن مـظـاهـرِ الإعجازِ البيانيّ

اختلف القرَّاء في قراءةِ قولِه تعالى: ﴿نُنسِهَا﴾ على قراءتين:

أولاً: قراءةُ الجمهورِ: ﴿نُنسِهَا﴾ "بِضَمِّ النُّونِ وَكَسْرِ السِّينِ مِنْ غَيْرِ هَمْزَةٍ"[1]، ومعناهَا التركُ "أي: نُنسِ الناسَ إيّاها، وذلكَ بأمرِ النبيّ ﷺ بتركِ قراءتِها حتّى ينساهَا المسلمونَ"[2] واستعمالُها بالبناءِ للمفعولِ فيه معنًى رمزيٌّ يرجّحُ أنّ معنى النسيانِ هو التركُ؛ لأنّه حذفَ (الناسَ) هنا باستعمالِه صيغةَ البناءِ للمفعولِ.

ثانيًا: قراءةُ ابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو: ﴿نَنسَأْهَا﴾ "بِفَتْحِ النُّونِ وَالسِّينِ، وَهَمْزَةٍ سَاكِنَةٍ بَيْنَ السِّينِ وَالهَاءِ"[3]، ومعناهَا التَّأخيرُ "أي: نؤخّرُ تلاوتَها، أو نؤخّرُ العملَ بها، والمرادُ: إبطالُ العملِ بقراءتِها أو بحكمِها"[4].

والقراءتانِ ﴿نُنسِهَا﴾ بمعنى التركِ، و﴿نَنسَأْهَا﴾ بمعنى التأخيرِ تقابلانِ النسخَ، "والاحتمالاتُ المفروضةُ في نسخِ حكمٍ من الشريعةِ تتأتَى في نسخِ شريعةٍ بشريعةٍ وإنسائِها أو نسئِها"[5]؛ لأنّ الإنساءَ والنسأَ إبطالٌ في الأحوالِ كلِّها.

بلاغةُ التَّقديمِ والتَّأخيرِ:

تقـديـمُ الأصْـلِ عـلـى فـرعِـه، والأوضـحُ على الواضحِ

قُدِّمَ ﴿نَنسَخْ﴾ على ﴿نُنسِهَا﴾ أو ﴿نَنسَأْهَا﴾؛ للعنايةِ والاهتمامِ، أمّا وجهُ هذا الاهتمامِ، وسرُّ تلكَ العنايةِ فلأنَّ الآياتِ المنسوخةَ معلومةٌ لدى المخاطَبينَ حينَ نسخِها، بخلافِ الآياتِ المنسيّةِ أو المؤخَّرةِ، فالتقديمُ من قبيلِ تقديمِ الواضحِ على الأقلِّ وضوحًا، ومن قبيلِ إلحاقِ الفرعِ بأصلِه، أي: كما حَصَلَ النسخُ الّذي تعرفونَه،

(1) ابن الجزري، النشر: 2/220.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/658.
(3) ابن الجزري، النشر: 2/220.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/658.
(5) المرجع السابق: 1/659.

فكذلكَ يحصلُ غيرُه، وهذا معنَى التقسيمِ الّذي أفادتْه ﴿أَوْ﴾، فالآياتُ ما بينَ هذينِ القسمينِ.

فوائدُ الحذفِ والذكرِ:

بـلاغـةُ الـنـظـمِ في تقريرِ قواعدِ الإيجازِ

دخلَ حرفُ الجرِّ (مِنْ) في قولِه تعالَى: ﴿بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ على المفضّلِ منه؛ لأنَّ أفعلَ التفضيلِ نكرةٌ، وفي قولِه ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ جاءَ على الغايةِ من دقّةِ النَّظمِ في تقريرِ قواعدِ الإيجازِ؛ فلم يُقلِ الحقُّ تباركَ وتعالَى (نأتِ بآيةٍ خيرٍ من آيةٍ) والخيريةُ هنَا تكونُ بمعنَى "أنفعُ لكمْ، وأسهلُ عليكمْ، وأكثرُ لأَجرِكمْ، لا أَنَّ آيةً خيرٌ منْ آيةٍ؛ لأَنَّ كلامَ اللَّهِ واحدٌ، وكلُّهُ خيرٌ"[1] ولأنّ خيريَّتَها في كونِها ألينَ، وأيسرَ على الناسِ كمَا نُقلَ عن ابنِ عباسٍ[2] رضي الله عنهما؛ فالنَّظم الكريم يتحاشى المفاضلةَ بين الآيات؛ فلا تفاضلَ بينَ فصاحةِ الآياتِ القرآنيةِ وبلاغتِها، بلْ في مضمونِها وأثرِها.

فائدةُ العطفِ بقولِه: ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾:

أثـرُ الـمـعـطـوفِ في دفـعِ وهْـمِ حتميَّةِ التَّفاضلِ بـيـن الـنّـاسـخِ والمنسوخِ

وقولُه ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾ أو عطفٌ يفيدُ التقسيمَ، و﴿مِثْلِهَآ﴾ يعنِي في الثوابِ والتكليفِ، ومن ذلكَ "أنَّ اللَّه تباركَ وتعالَى حينَ أمرَ المسلمينَ بالتوجّه إلى الكعبةِ بدلاً من بيتِ المقْدسِ نسخَ آيةً بمثلِها"[3]؛ فنقلُ التوجّهِ من بيتِ المقْدسِ إلى الكعبةِ ليسَ فيه فرقٌ على المسلمِ، ولا مشقّةٌ، ولا تعبٌ، ولا نصبٌ، إنّما هوَ اختبارٌ لطاعةِ العبدِ لربّهِ، أي أنَّ إبدالَ الآيةِ بمثلِها جاءَ لغرضٍ وحكمةٍ ربّانيّةٍ، فإنَّ فائدتَه كامنةٌ في الاحترازِ من وهمٍ فكريّ، وهو اعتقادُ أنّ كلَّ آيةٍ ناسخةٍ هي خيرٌ من كلّ آيةٍ منسوخةٍ، فكانَ دورُ المعطوفِ دفعَ مثلِ هذا الوهمِ، لبيانِ أنَّ بعضَ المنسوخِ يماثلُ الناسخَ.

(1) البغويّ، معالم التنزيل: 1/135.
(2) ابن الجوزي، زاد المسير: 1/98.
(3) الشعراويّ، تفسير الشعراويّ: 1/513.

نكتةُ التقديمِ والتأخيرِ:

الفاضلُ مقدَّمٌ على المماثلِ في النفسِ والواقعِ

لتقديمِ المعطوفِ عليه على المعطوفِ أثرٌ في نفسِ المتلقّي، والأمرُ الفاضلُ مقدَّمٌ على المماثلِ، فإنَّ الإتيانَ بناسخٍ خيرٍ من المنسوخِ أفضلُ من الإتيانِ بمثلِه، كمَا أنَّ تقديمَه يُشعرُ بأنَّه الأكثرُ في النواسخِ، ولـمَا لكلمةِ (خيرٍ) من وقعٍ لطيفٍ في القبولِ الذهنيّ والنَّفسيّ على حدٍّ سواءٍ.

غرضُ همزةِ الاستفهامِ:

خطابُ التَّقرير للنَّبيِّ ﷺ والمرادُ به الأمَّةُ

قولُه تعالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ جملةٌ استئنافيةٌ جديدةٌ، وحَسُنَ الفصلُ هنَا لقوّةِ الارتباطِ المعنويّ بينَ هذهِ الجملةِ وما سبقَها؛ والهمزةُ للاستفهامِ التقريريّ[1]، و﴿لَمْ﴾ حرفُ نفيٍ وجزمٍ وقلبٍ؛ فالجملةُ منفيّةٌ، والهمزةُ التقريريةُ تقلبُها إلى الإثباتِ، والمعنَى: (أنتَ تعلمُ)[2]، والخطابُ وإنْ كانَ موجّهًا "للنّبيِّ ﷺ، والمرادُ بهِ غيرهُ منَ المؤمنينَ"[3] إلّا أنّ القصدَ منه أنْ يكونَ للأمّةِ جميعًا، وبطريقةٍ غيرِ مباشرةٍ، ولـمَن تأثرَ بما يطلقُه اليهودُ من أراجيفَ، ففيه تثبيتٌ لهؤلاءِ "وتوجيهُ الكلامِ إلى شخصٍ يرادُ غيرهُ شائعٌ في كلامِ العربِ والمولّدينَ"[4] ففي هذا الخطابِ تعريضٌ باليهودِ، والخطابُ ليسَ لهُ ﷺ؛ "لأنَّهُ لا يقرّرُ على الاعترافِ بأنَّ اللَّه على كلِّ شيءٍ قديرٌ، فضلًا عنْ أنْ ينكرَ عنهُ، وإنَّمَا التَّقريرُ للأمّةِ"[5].

سرُّ التَّعبيرِ بـ ﴿قَدِيرٌ﴾ دونَ (قادر):

الملاءمةُ السياقيّةُ والتناسبُ الدّلاليّ في اختيارِ الصِّيَغ

كلمة ﴿قَدِيرٌ﴾ جاءتْ على صيغةِ المبالغةِ من اسمِ الفاعلِ على زنةِ

(1) لفظ الواجب، إذا لحقته همزة التقرير عاد نفيًا، وإذا لحقت لفظ النفي عاد إيجابًا، ابن جنّي، الخصائص: 3/272.
(2) البغويّ، معالم التنزيل: 1/135.
(3) محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم: 1/342.
(4) محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم: 1/342.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/664.

(فَعِيل)[1]؛ لأنّه إذَا دلَّ اسمُ الفاعلِ على المبالغةِ والكثرةِ والتكرارِ، ووصولِ المعنَى إلى أعلَى درجاتِه، استُعمِلَتْ لهُ صيغةُ المبالَغةِ، لا اسمُ الفاعلِ الّذي يدلُّ على مجردِ الحدثِ وفاعلِه، فـ ﴿قَدِيرٌ﴾ أبلغُ من (قادر)، وقدْ ختمتْ بِه الآيةُ، وهو الملائمُ لسياقِ الآياتِ؛ لتناسبِه معَ العمومِ.

نكتةُ تقديمِ الخبرِ على المبتدأِ:

الـدّلالـةُ على استيلاءِ قدرتِه عـلى الأشـيـاءِ جميعًا

قُدِّم الجارُّ والمجرورُ في قولِه تعالَى ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ على المبتدأِ ﴿قَدِيرٌ﴾ وهو وإنْ كانَ تقديماً واجباً إلّا أنّه جاءَ ليفيدَ الاهتمامَ والاختصاصَ، وأنّ قدرتَه سبحانه محيطة بالأشياء جميعًا، وقُدِّم كذلك مراعاةً لرؤوسِ الآيِّ، تبعًا لمراعاةِ الدلالةِ.

فائدةُ تعدُّدِ المؤكّدات:

تقويةُ مضمونِ العمومِ في قدرةِ الـلـهِ عـلى كـلِّ شَيْءٍ

اشتملتْ جملةُ ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ على عدّةِ مؤكّداتٍ؛ لتقويةِ مضمونِ العمومِ الواردِ في الآيةِ، وهي: أنّ المؤكّدةُ الناصبةُ، والجملةُ الاسميةُ الدالّةُ على الثبوتِ، وتعريفُ المسندِ ﴿ٱللَّهَ﴾ لتقويةِ الجملةِ، وإدخالِ المهابةِ في نفوسِ السامعينَ، وتقديمُ ما حقّهُ التأخيرُ؛ تقديمُ الجارِّ والمجرورِ على ﴿قَدِيرٌ﴾، والتعبيرِ بصيغةِ المبالغةِ ﴿قَدِيرٌ﴾ بدلًا من اسمِ الفاعلِ (قادرٌ) يُفيدُ نوعًا من التَّوكيدِ، والتَّعبيرِ بأنّ المفتوحةِ الهمزةِ؛ فإنّهُ يمكنُ تأويلُها بمصدرٍ؛ فيكونُ التقديرُ: (ألمْ تعلمْ قدرةَ اللهِ على كلِّ شيءٍ حاضرةً أو موجودةً)، وهو تأويلٌ يعضدُ ما توافرَ من مؤكّداتٍ في هذهِ الآيةِ.

فائدةُ الالتفاتِ من التكلّمِ إلى الخطابِ:

الاستدلالُ بعلمِ المـخـاطـبِ في تقريرِ مضَامينِ الكلامِ

وقعَ التفاتٌ في قولِه تعالَى: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ﴾؛ فالأفعالُ ﴿نَنسَخۡ﴾، ﴿نُنسِهَا﴾، ﴿نَأۡتِ﴾

(1) "وأجروا اسم الفاعل إذا أرادوا أن يبالغوا في الأمر مجراه إذا كان على بناء فاعل ... إلا أنّه يريد أن يحدث عن المبالغة فما هو الأصل الذي عليه أكثر هذا المعنى فعُول وفعّال ومِفْعال وفعِل"، سيبويه، الكتاب: 1/110.

هي للتَّكلُّم، ثمّ انتقلَ الخطابُ من التكلّم إلى الخطابِ بقولِه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾، وهو خطابٌ موجَّهٌ إلى الرسولِ ﷺ، والمرادُ أمَّتُه؛ وفائدةُ الالتفاتِ: تقريرُ ما جاءَ في جملةِ التَّكلُّم من القدرةِ على النَّسخِ والإنساءِ، والاستدلالُ بعلمِ المخاطَبِ على ذلكَ، وهو من أمتنِ طرقِ الإقناعِ في تقريرِ مضامينِ الكلامِ.

نكتةُ إظهارِ ما حقُّهُ الإضمارُ:

إظـهـارُ لـفـظِ الجلالةِ لتربيةِ المهابةِ في نفوسِ السامعينَ

وضعُ الظاهرِ وهو الاسمُ الجليلُ ﴿ٱللَّهَ﴾ موضعَ المُضْمَرِ في قولِه تعالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؛ فلمْ يقلْ: (أنّهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ)؛ "لتربيةِ المهابةِ، ولأنّه الاسمُ العلمُ الجامعُ لسائرِ الصفاتِ، ففي ضمنِه صفةُ القدرةِ، فهو أبلغُ في نسبةِ القدرةِ إليه من ضميرِ المتكلّمِ المعظّمِ"[1].

التَّناسبُ التَّقابليّ في العمومِ:

مناسبةُ عمومِ الآياتِ القرآنيَّةِ معَ عمومِ الآياتِ الكونيَّةِ

احتوتِ الآيةُ على نوعٍ من التَّناسبِ الدّلاليّ بديعٍ، وذلكَ في إثباتِ عمومِ قدرتِه سبحانه في الآياتِ القرآنيةِ والآياتِ الكونيةِ؛ فالآياتُ القرآنيَّةُ يُمثِّلُها قولُه تعالَى: ﴿مِنْ ءَايَةٍ﴾ فهو قادرٌ على نسخِ أيّةِ آيةٍ؛ والآياتُ الكونيَّةُ يمثِّلُها قولُه تعالَى: ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾، فكمَا أنّه قادرٌ على نسخِ أيّةِ آيةٍ؛ فهو قادرٌ على تبديلِ كلّ شيءٍ في هذا الكونِ.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

أتَى وجاءَ:

في قولِه تعالَى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ عبّرَ بفعلِ الإتيانِ ﴿نَأْتِ﴾ ومن معانيه المجيءُ بسهولةٍ، ويقالُ لمَن يجيءُ بالذاتِ والأمرِ والتدبيرِ وفي الأعيانِ والأعراضِ[2]، وممّا يقرُب من

(1) الآلوسي، روح المعاني: 1/354.
(2) الراغب، المفردات: (أتى).

لفظةِ (أتَى) لفظةُ (جاءَ) وقد يجعلُهما بعضُهم من بابِ الترادفِ، وهو ليسَ بسديدٍ؛ إذِ المقَّررُ أنّ الترادفَ غيرُ واقعٍ في القرآنِ الكريمِ؛ لما يمكنُ أنْ تحلّ لفظةٌ مكانَ أخرَى، وهو غيرُ جائزٍ في الكتابِ الكريمِ، فثمّةَ فرقٌ بينَ (جاءَ) و(أتَى) لأنَّ "قَوْلَك جَاءَ كَلَام تَامّ لَا يحْتَاج إِلَى صلَةٍ ... وَلِهَذَا يُقَال جَاءَ فلَانٌ نَفسُه"[1] أمّا الفعلُ (أتَى) فإنّه "يَقْتَضِي مجيئَه بِشَيْءٍ ... وَلَا يقالُ أَتَى فلَانٌ نَفسُه"[2] وهو قولٌ ظاهرُ البرهانِ في هذا الموضعِ؛ فإنّه استعملَ (أتَى) لأنَّ المجيءَ هنَا يكونُ معَ شيءٍ محددٍ وهو ﴿بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾، فثبتَ أنَّ كلَّ لفظٍ يحسنُ موقعُه بحسبِ دلالتِه، ولا يقعُ لفظٌ موقعَ الآخرِ في الكتابِ الكريمِ، أمّا في اللغةِ فعلى سبيلِ التجوّزِ، أو لأنّه "كثرُ ذَلِكَ حَتَّى اسْتُعْمِلَ أحدُ اللَّفْظَيْنِ فِي مَوضِعِ الآخرِ"[3].

خير وأفضل:

اشتمالُ (خيرٍ) على الفضلِ الذّاتيّ والمتعدّيّ

في قولِه تعالَى: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ جاءَ التعبيرُ بلفظةِ (خيرٍ)، ولمْ يَردْ بلفظةِ (أفضلَ)؛ وذلكَ لأنّ الخيرَ يتضمنُ معنَى الفضلِ الذاتيّ والمتعدّيّ، أي أنَّ الآيةَ هي خيرٌ في ذاتِها وفي أثرِها، فضلاً عمّا تحويهِ هذهِ الكلمةُ من معنى البشارةِ والبشرَى، ﴿بِخَيْرٍ﴾ اسمُ تفضيلٍ، وزنُه (أفْعَل) إلَّا أنّ همزتَه حُذفتْ لغيرِ قياسٍ، والمعنَى أنّنا نأتِي بأفضلَ ممّا ننسخُ أو نُنسِي، "وذلكَ أنَّ الآتِي بِه إنْ كانَ أَخفَّ من المنسوخِ، أو المنسوءِ فخيريَّتُه بالنسبةِ إلى سقوطِ أعباءِ التكليفِ، وإنْ كانَ أَثقلَ فخيريَّتُه بالنسبةِ إلى زيادةِ الثوابِ"[4] فهو على ذلكَ للتفضيلِ، والأولُ أقوَى معنًى؛ لدلالةِ الآيةِ، ولفظًا لوجودِ ﴿مِن﴾ الداخلةِ على المفضّلِ منه.

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 309.
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 309.
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 309.
(4) السمين الحلبيّ، الدرّ المصون: 2/61.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»